العرب
السبت 2019/12/21
السنة 42 العدد 11565

مساعي تركيا في شرق المتوسط تعود بالنفع على روسيا

ديميتار بيشيف
كاتب في موقع أحوال تركية

بدأت التوترات تتصاعد من جديد في منطقة شرق البحر المتوسط. فتركيا تلقي بثقلها في كل أنحاء المنطقة، من المياه المتنازع عليها حول قبرص إلى ليبيا التي مزقتها الحرب.

غير أن تحالفا منافسا يتصدى لتلك المساعي، يجمع بين اليونان وإسرائيل وجمهورية قبرص ومصر، أضف إلى ذلك الأردن والسلطة الفلسطينية وإيطاليا، وهي دول أعضاء في منتدى غاز شرق المتوسط الذي تم تدشينه حديثا، تلك المبادرة التي تستبعد تركيا.

ومن بين خصوم تركيا الرجل الليبي القوي المشير خليفة حفتر، إلى جانب لاعبين آخرين مثل الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. وتعتبر الولايات المتحدة عضوا مشاركا في هذه المجموعة، مثلها مثل فرنسا التي تدعم حفتر أيضا. وهناك بعد ذلك روسيا التي على الرغم من تقديمها الدعم للجنرال الليبي لا تزال تلعب دورا غامضا في تلك المواجهة.

الوضع الراهن يناسب موسكو كثيرا. لقد تعكرت العلاقات بين تركيا وحلفائها في حلف شمال الأطلسي (الناتو) والاتحاد الأوروبي، مما يزيد من اعتماد أردوغان على أصدقائه الجدد في موسكو

بعد إبرام اتفاقية ترسيم الحدود مع حكومة الوفاق الوطني الليبية المعترف بها دوليا في طرابلس الشهر الماضي، يتعهد أردوغان الآن بإرسال قوة رد سريع لصد هجوم حفتر على العاصمة الليبية.

ثمة مواجهة أيضا بين تركيا وإسرائيل. الأحد الماضي، أرغمت البحرية التركية سفينة أبحاث إسرائيلية تستكشف النفط والغاز البحريّين بترخيص من السلطات القبرصية على العودة والابتعاد عن الجزيرة. في المقابل، حلقت طائرة مقاتلة تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي فوق سفينة تنقيب تركية. وأرسلت تركيا طائرة دون طيار إلى شمال قبرص لحراسة سفينتي (ياووز) و(فاتح) اللتين تنقبان عن النفط والغاز. يبدو أن تركيا على شفا الدخول في مواجهة عنيفة في قبرص أو ليبيا، أو في كلتيهما.

إن سياسة حافة الهاوية قد تحقق مكاسب لأردوغان وقد لا تحقق، غير أن هناك لاعبا من المرجح أن يجني بعض المكاسب من الأزمة التي تلوح في الأفق؛ ألا وهو روسيا.

معظم المراقبين على ما يبدو، يعتبرون روسيا جزءا من أحد التكتلات المتنافسة في شرق المتوسط. ذلك أن لديها علاقات طويلة الأمد تربطها بالقبارصة اليونانيين، كما أنها دولة صديقة لإسرائيل، وزادت صفقاتها لبيع الأسلحة إلى مصر بشكل كبير منذ أن تولى عبدالفتاح السيسي السلطة في العام 2013. كما يقاتل المرتزقة الروس أيضا في طليعة قوات حفتر. وقد أشار أردوغان هذا الشهر إلى وجود شركة (فاغنر)، وهي شركة عسكرية خاصة يترأسها رجل الأعمال المرتبط بالكرملين يفغيني بريغوجين، باعتباره مبررا لكي يرسل هو أيضا قوات إلى ليبيا.

بعبارة أخرى، يبدو أن روسيا عالقة مثل الأتراك في نفس اللعبة ذات المحصلة الصفرية، التي يربح فيها طرف على قدر خسارة الطرف الآخر. فخسارة أردوغان مكسب لبوتين، والعكس صحيح. ويرى أتباع هذه النظرية أنه ينبغي لروسيا أن تحشر تركيا في الزاوية كي تربح في نهاية المطاف. بيد أن هذه المهمة تظل صعبة بكل تأكيد.

وهذه القراءة للسياسة الروسية تنطوي على فهم خاطئ لعدة أمور.

أولا، على الرغم من علاقاتها مع السيسي وحفتر، تتوخى روسيا الحذر في ليبيا. ويقول الخبير الروسي المعني بشؤون الشرق الأوسط كيريل سيمينوف، إن شركات الطاقة الروسية الكبرى تعمل بارتياح مع حكومة الوفاق الوطني في طرابلس. كما أن تقديم شركة (فاغنر) المساعدة لحفتر بدلا من الجيش الروسي يمنح موسكو درجة من المرونة. وفي أي حال من الأحوال، فإن مصر والإمارات العربية المتحدة تقدمان معظم الدعم إلى الجنرال الليبي. أما عن التدخل الروسي على نفس مستوى سوريا فهو أمر مستبعد للغاية، خاصة حين تقدم تركيا المساعدة لرئيس حكومة الوفاق الوطني المحاصر فايز السراج.

ثانيا، النتيجة التي تفضلها روسيا على الأرجح هي التوصل إلى تسوية من نوع ما بين الطرفين المتحاربين، والتي من شأنها أن تتيح لها الاستفادة من الفرص التجارية والاضطلاع بدور صانع السلام، مثلما تفعل في سوريا. أما الصراع المفتوح بالوكالة مع تركيا فلا يخدم المصالح الروسية.

على نفس المنوال، لا تنخرط روسيا على وجه الخصوص في النزاعات الدائرة حول قبرص. فالوضع الراهن يناسب موسكو كثيرا. لقد تعكرت العلاقات بين تركيا وحلفائها في حلف شمال الأطلسي (الناتو) والاتحاد الأوروبي، مما يزيد من اعتماد أردوغان على أصدقائه الجدد في موسكو. إعادة توحيد الجزيرة، التي قد تنطوي على وجود الناتو ضامنا لأمنها، لا تلوح في الأفق. ولا تزال الصراعات تحول دون وصول غاز شرق المتوسط إلى الأسواق الأوروبية ومنافسة الشحنات الروسية التي تصل إليها عبر خطوط الأنابيب.

على الرغم من تعزز وضع روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وشرق المتوسط، إلا أنها تفتقر إلى الوسائل والإرادة اللازمة لتكون شرطي المنطقة. أهدافها أقل من ذلك بكثير، ومعظمها قابل للتحقيق. في تلك المنطقة المضطربة، يستفيد الروس من وجود روابط لهم مع الجميع تقريبا.

ويتجه أردوغان لإثبات هذه النقطة مرة أخرى، فإذا تعرقلت تكتيكاته القائمة على استعراض العضلات، فيمكنه دائما أن يتجه إلى بوتين للحصول على المساعدة. وحينها، سيدخل الرئيس الروسي الساحة بصفته صاحب نفوذ وصانع صفقات. وقد أجرى الزعيمان اتصالين هاتفيين بشأن ليبيا يومي السابع عشر والحادي عشر من شهر ديسمبر الجاري.

إن العمل مع روسيا هو أفضل خيار أمام تركيا لتجنب التطويق والمحاصرة.

انتفاضة أكتوبر وسلاح الحرب النفسية

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

أصبحت سلطة الأحزاب على يقين بأن انتفاضة أكتوبر قد تجاوزت وأجهضت جميع محاولات تفكيكها وسحقها خصوصا بعد إنجازها الثوري بإسقاط رئيس الحكومة عادل عبدالمهدي الذي لم يتجرأ أو لم يرغب في الاستسلام لإرادة الثوار، كاشفا زيف إدعاءاته النظرية بانتمائه إلى الخط الثوري رغم التقلبات المعروفة عنه بين اليساري المتطرف والإسلامي الموالي لإيران.

هذا الانتصار الأولي وفق قوانين الثورة يمكن إن لم تتوفر معه عناصر الصمود والتواصل أن يؤدي إلى تراجع يؤذي الانتفاضة وشبابها، ويرجح كفة الصراع والمعركة لصالح الأحزاب التي تتفنن في أساليب التشويه عبر وسائل الإعلام المحلية الحزبية والإيرانية ومواقع التواصل الاجتماعي والجيوش الإلكترونية التي توحي، مخادعة، بأنها مع مطالب المعتصمين الثوار، بل وصل الأمر إلى أن قادة ميليشيات مسلحة متهمين بقتل الشباب واختطافهم يعلنون دعمهم للانتفاضة.

وفي كلا الخيارين سواء في تنصيب رئيس وزراء جديد تلبية لرغبة الشعب أو أن يكون على ذات سياقات المصالح الحزبية مع تعديلات شكلية، فستكون المرحلة التي تليها حساسة وخطيرة في مدى قدرة الانتفاضة الشعبية على الانتقال للصفحات التالية من المعركة السياسية بين الشعب ونظام الحكم القائم الذي أصبح على هامش التاريخ وهي دون شك معركة طويلة.

احتمال أن يكون خيار رئيس الوزراء الجديد غير معبر عن رغبات المنتفضين سيجعل الرفض مقدمة لتداعيات متواصلة على مسرح السلطة وليس الجمهور المنتفض، لكن ذلك سيعقد الأزمة ويكشف إلى أي مدى وصلت إليه الأحزاب من استماتة وتشبث بالسلطة. أما إذا تحقق الحد الأدنى من الرضا حوله، فإن العقدة الأكبر ستكون في مدى قدرته على إدارة الفترة الانتقالية المطلوبة في تشريع قانون انتخابي يفك عن الأحزاب قدراتها التحكمية، ويبقى صمود الثوار هو الكفيل بتركيع الأحزاب لمشيئة الشعب.

من وسائل الحرب النفسية ضد المنتفضين التي لم تنجح لحد اللحظة استهداف قدراتهم السياسية ووحدتهم التنظيمية وتصويرهم كمجاميع شبابية مشتتة، قسم منهم ذوو ولاءات خارجية أو خاضعون لتعليمات بعض السفارات، في حين أن الواقع يشير إلى أن فتية العراق الثائر لا تتجاوز أعمارهم السن الذي يبيح مثل هذه الارتباطات المشبوهة التي هي ثوب السياسيين والميليشيات المسلحة.

بعض مفاصل الحرب النفسية يساهم فيها مثقفون وإعلاميون عراقيون بعضها دون قصد سيء، يحاولون من خلالها تقديم نصائح سياسية انطلاقا من تجاربهم الذاتية والحزبية الأيديولوجية القديمة التي لا تستوعب ما أحدثته ثورة الاتصالات والمعلومات من تغيير في الرؤى السياسية والحلول السريعة للتغيير. كما أن من يعطي الدم رخيصا من أجل الوطن لا يمكن لأي سياسي أن يفرض عليه نصائح بعضها ملغوم من جهات مشبوهة.

السلمية التي تتمتع بها انتفاضة أكتوبر تشكل أهم نقطة قوّة في مواجهة سلطات القتل والاختطاف، وهي الصفة التي ستضاعف مستويات التأييد العالمي، وتضع القتلة في مواقف لا يحسدون عليها

مع ذلك وفي ظل معطيات المعركة الحالية لا بد من أن يصاحب عطاء الدم العراقي لساحات الاعتصام قيام هيئة أو لجنة تنسيقية تدير الفعاليات السياسية والحوار مع السلطة وتمتلك مخططا متفقا عليه، وقد تكون قيادات بعض النقابات المهنية والشعبية ذات الولاء للمعتصمين مؤهلة لمثل هذا الدور بعد موافقة المنتفضين. تستطيع هذه الهيئة إنهاء حملة التشكيك بافتقاد الانتفاضة من الرؤية السياسية الموحدة، وتطرح برنامجا سياسيا وإعلاميا يدير المعركة بتفصيلاتها، قادرا على مواجهة الحرب النفسية للخصوم وفضحهم بالحقائق الدامغة بهويتهم الحقيقية، وعدم انتمائهم للوطن وارتهانهم لإيران وبفسادهم وبقتلهم لأبناء الشعب، وإنهم لا يمتلكون شرعية الاستمرار بالحكم بعد هذه المظاهرات المليونية في وسط وجنوب العراق.

هناك جانب لوجستي مهم يواجهه المعتصمون في ساحاتهم وهو اختراق المندسين من جهات تابعة لميليشيات أو أحزاب تمارس أشكالا متعددة من الإشاعات التخريبية، وبعضها قد يصل إلى إثارة النزاعات بين المنتفضين، والأخطر من ذلك هو توصيل أسماء أبرز الناشطين في الساحات إلى منظمات القتل خارجها ما يسهل مراقبة وملاحقة هؤلاء الشباب وتتم تصفيتهم، ولا شك أن المنتفضين قد انتبهوا إلى هذه المخاطر من خلال تشكيل اللجان الأمنية ذات القدرات الجيدة في كشف أولئك المندسين وطردهم من الساحات.

إن السلمية التي تتمتع بها انتفاضة أكتوبر، بقدر ما تحمل نقاط الضعف الخاصة بالحصانة الأمنية وتعريض بعض ناشطيها للموت، فإنها تشكل أهم نقطة قوّة في مواجهة سلطات القتل والاختطاف، وهي الصفة التي ستضاعف مستويات التأييد العالمي، وتضع القتلة في مواقف لا يحسدون عليها.

حسنا فعل سعد الحريري

فاروق يوسف
كاتب عراقي

حسنا فعل الرئيس سعد الحريري حين رفض أن يكون مرشحا لرئاسة الحكومة اللبنانية القادمة.

للرجل أسبابه وهي تلتقي وتتقاطع مع الأسباب التي تدعو المتظاهرين إلى رفض عودته إلى المنصب الذي غادره قبل أكثر من شهر ونصف الشهر.

لم يكن سقوط حكومته مطلبا رئيسا للمتظاهرين غير أنه كان بالنسبة لهم ثغرة في جدار، يطمحون من خلال هدمه إلى رؤية لبنان جديد.

ما فعله الحريري حين استقال أعاد الثقة به شعبيا وهي ثقة يمكن أن يفقدها فيما لو قبل بالعودة إلى منصبه حتى لو تحققت شروطه من خلال تلك العودة.

فشلت حكومة الحريري المستقيلة وكان ذلك متوقعا. ذلك الفشل لا يُحسب على الحريري نفسه، غير أن استقالتها يمكن أن يُحسب له انتصارا.

في الحسابات الدقيقة فإن عودته إلى الحكم انطلاقا من ترشيحه من قبل الطائفة السنية يمكن أن تعتبر ضربة مسيئة إلى الاحتجاجات الشعبية التي يشهدها لبنان منذ أشهر.

ليس لدى المحتجين اعتراض مبيت على شخصية الحريري ولا على رئاسته للحكومة، لكن اعتراضهم ينصب على كونه ممثلا لطائفة بعينها، بما يعني أن وجوده رئيسا لحكومة جديدة لا يمكن أن يُعتبر مخرجا من الأزمة التي يعتقد المحتجون أن واحدا من أعظم أسبابها يعود إلى طبيعة النظام الطائفي الاستحواذية والتمييزية بما يؤدي إلى انتشار الفساد والتستر عليه.

ولأن الحريري صار خبيرا بكل المخاطر التي تنطوي عليها اللعبة الطائفية فإنه قرر أن يكتفي بأن يكون زعيما سياسيا.

يعرف سعد الحريري ما يدور من حوله جيدا. وهو يدرك أن إنقاذ النظام الطائفي من السقوط التدريجي لم يعد ممكنا. لذلك فإنه حين تقدم باستقالته لم يكن يفكر إلا في أن يقف خارج عملية الإنقاذ التي يتبناها حزب الله وأتباعه من التيارات السياسية الأخرى تحت مسمى "المقاومة".

في حقيقة الأمر فإن خصوم النظام الطائفي من اللبنانيين هم المقاومون.

فالصراع إذا بين جبهة ترفع شعار المقاومة غير أنها في حقيقة ما تفعل إنما تسعى إلى تكريس وترسيخ النظام الطائفي وجبهة تقابلها لا تزعم أنها تمثل أحدا، غير أنها واقعيا تمثل روح الشعب اللبناني المقاومة التي لم يعد في إمكانها الاستمرار في الوقوف بين نيران الطائفيين وفسادهم كما لو أنها رهينة كل الدهور. لذلك قرر الحريري أن يترك المهمة لسواه.

تلك مهمة ليست سياسية مشرفة بقدر ما هي خدمية وضيعة.

فرئيس وزراء بالمواصفات التي يريدها حزب الله نكاية بالمحتجين هي وظيفة لا تشرف مَن يقوم بها. وهي على مستوى آخر أشبه بالانتحار السياسي في ظل الرفض الشعبي المعلن لكل محاولة تهدف إلى تدوير النظام الطائفي الذي صار المحتجون الشباب ينظرون إليه باعتباره جزءا من الماضي الذي خرجوا من بيوتهم من أجل دفنه.

رئيس وزراء بالمواصفات التي يريدها حزب الله نكاية بالمحتجين هي وظيفة لا تشرف مَن يقوم بها. وهي على مستوى آخر أشبه بالانتحار السياسي في ظل الرفض الشعبي المعلن

ما لا يصدقه حزب الله وأعوانه أن مرحلة جديدة من تاريخ لبنان كانت قد بدأت في اليوم الأول من الاحتجاجات. لا لأنهم لا يرون ما يحدث بل لأنهم لا يريدون أن يروا. لذلك فقد انصبت لغتهم على التحذير من إمكانية انزلاق البلاد إلى حرب أهلية، كما لو أن لبنان لا يقف بسبب هيمنة حزب الله غير الشرعية على السلطة على حافة تلك الحرب منذ سنوات.

ولقد بات واضحا أن مهمة أي رئيس وزراء قادم إنما ترتكز بشكل أساس على إقناع الشعب من خلال المتظاهرين بأن وجوده هو الضمانة الوحيدة لمنع قيام تلك الحرب. ذلك الدور لا يليق بالحريري الذي مر عبر سنوات عمله الرسمي بالعديد من الأزمات التي كادت أن تطيح بمستقبله السياسي.

حسنا فعل سعد الحريري حين اختار ألا يكون مطية حزب الله التي يرجمها اللبنانيون.